

1038 - عن "التصوف"، والسياسة (2 من 3)

تعتة الوفد

جاءت نهاية المقال السابق هكذا "اكتفى بهذا القدر لأعود غاضبا لمناقشة مقال الشاعر الجميل فاروق جويده" في الشروق بتاريخ (2010/5/23) بعنوان: "لماذا خلطت الدولة بين الإخوان والطرق الصوفية؟"، وهأنذا أعود فأبدأ بالاعتراف بفضله إذ كان أول من رحب بقلمى في الأهرام في "دنيا الثقافة" التي كان يشرف عليها في الثمانينات، ومازلت أعتز بنشره مقالا لي بعنوان: "بين التطرف والتعصب" (الأهرام 14/2/1980)، حيث كنت أذاع فيه عن معنى آخر للتطرف، وهو وضوح موقف صاحب الرأي أو العقيدة أو الأيديولوجى بشكل يحدد معاله تماماً، وبينت فيه أن هذا الوضوح هو الذى يسمح لصاحبه أن يعلن موقفه، وفي نفس الوقت أن يراجع، وينقده، وقد ينتقل منه إلى الطرف الآخر إن رأى ذلك بعد أن يتلى بموقفه الأول حتى تظهر له معاله، فالتطرف هو فضيلة على ذلك ضد الميوعة وفي مقابل ذلك فإن ما يسمى التطرف آنذاك (وحتى الآن) هو تعصب وهمود بلا حراك إلا التفجر، لم يتردد فاروق جويده في نشر المقال دون أى تحفظ أو تدخل، ثم تابعته شاعرا جميلا، وناقدا لاذعا وسياسيا موضوعيا، كل ذلك وغيره يسمح لي أن أقول ما سوف أقوله.

بدأ فاروق مقاله عن التصوف والاخوان بداية جميلة عن علاقته طفلا بمحاضرات المتصوفة، وباستذكار دروسه طفلا في المساجد، كما حكى عن حفظه أورداد الصوفية وتعلمه أوزان الشعر منها... الخ، فرحت بهذه البداية، وإن كنت افتقدت الربط بينها وبين العنوان، ما علينا فوجئت بعد ذلك بتعامل الكاتب مع التصوف الشعبي وكأنه تسكين ديني طيب مشروع ليس له علاقة بالسياسة، وبالتالي لا يصح أن تخاف منه السلطات، كما تخاف من الإخوان والإرهاب.. الخ .

وبرغم هذه البداية الشعرية الصادقة، فإن ما وصلني بعد ذلك من عموم المقال هو تأكيده على ما يلي:

(1) أن أغلب المتصوفين عندنا هم مجموعة من الناس الطيبين، المسالمين، الذين يمارسون التصوف كنوع من التسكين

المشروع، يستبدلون بشقائهم الدنيوى، أفراح الروح، وأحلام الوصل.

(2) أنهم بذلك ليس لهم علاقة بالسياسة.

(3) أنهم من هذا المنطلق لا يوجد أى شبه بينهم وبين "الإخوان" الراغبين فى الحكم علنا، والخطرين على الأمن أحيانا، وهذا عكس ما يتصف به المتصوفة من رحمة ومساملة (وسمعان كلام).

(4) أنهم مهما بلغ حبه لآل البيت وتشفعهم بأولياءه، ليسوا من الشيعة وكأنه كان ينفى عنهم خطر التحيز إلى إيران أو حزب الله.

(5) أن منع الحضرات والموالد (بأى حجة ولو الوقاية من أنفلونزا الخنازير)، هو جزء من مخطط "أمريكى غربي لطمس هويتنا، بدعم قطيعة مغرضة مع الدين، ومنها حذف مادة الدين فى المدارس لتحل محلها مادة الأخلاق.

(6) أن هذا المنع لتدريس الدين، والحضرات فى المساجد، والموالد، لا يقابله منع لتجمعات اعتبرها جويده دليلا مباشر على الاخلال والشذوذ، وقد أدرج معها تدريس الثقافة الجنسية بالمدارس.

هذه هى مجرد الخطوط العامة، وقد يتفرع منها المزيد وفيما يلي بعض المقتطفات والتعقيب:

المقتطف (1): "الطرق الصوفية تضم أناسا تعلقو بهم أرواحهم إلى سماء أخرى غير التى نعرفها"

التعقيب: هذا غير صحيح بهذا الاطلاق إلا لمن أساء فهم التصوف، فالتصوف الحقيقى هو ممارسة مجاهدة للغوص إلى عمق الوعى البشرى الجمعى على أرض الله التى نعرفها وليس إلى سماء أخرى.

المقتطف (2): فلماذا نخرم الناس من أشياء تمنحهم قدرا من الراحة واليقين فى هذا الزمان الصعب.

التعقيب: المسألة ليست حرمان الناس من قدر من الراحة واليقين وإنما هى الخوف الكامن فى منظومة أداء الحكومة خوف من حركيه الناس نحو وعيهم الجمعى بأجسادهم وأنفاسهم وتسبيحهم وذكورهم إلى وجه الحق على الأرض، والحق المطلق إلى وجه الله.

المقتطف (3): ليس للمتصوفين دور فى السياسة (ثم)

التعقيب: تعريف السياسة بعيدا عن الوعى الجمعى (الإيمانى عندنا خاصة) هو أمر يحتاج إلى مراجعة وسوف أعود له فى المقال الثالث الاخير. والتصوف الشعبى هو أحد تجليات الوعى الجمعى الذى هو البنية الأساسية للسياسة.

المقتطف (4): وهذا يعنى أنه لا خوف على الأمن من حلقات الذكر ولا خوف على الاستقرار من مريدى الطرق الصوفية .

التعقيب: وصلتني محاولة ساخرة لطمأنه السلطة (الأمن) من سلامة نوايا هؤلاء السذج المسالمين الباحثين عن الراحة في السماء دون الأرض، فهل يقصد الكاتب طمأنة السلطة أم طلب السماح

المقتطف (5): ... فهم لا يعرفون العنف ولا يؤمنون بالسيرك السياسي وليست لهم مطامع في سلطة إنهم هاربون من عبث الدنيا إلى راحة البدن والضمير.

التعقيب: هذا النص بالذات هو تأكيد لما وصلني من اختزال التصوف إلى هذا الوجه السلبي الهروبي حتى لو كان هذا الهروب من عبث الدنيا إلى راحة البدن والضمير.

المقتطف (6): هل استطاعت الدولة أن تمنع حفلات الزار وحفلات الرقص وما يحدث في النوادي من حفلات صاخبة & شئ غريب أن تغلق الحكومة المساجد امام شباب فقير يريد أن يذكر فيها وتنتفح آلاف الأبواب لأغاني العرى والشذوذ في النوادي والملاهي لهم .

التعقيب: تعجبت من شاعر ناقد سياسى تنقلب المسألة عنده مهما كانت الاسباب والمبررات إلى دعوة إلى امتداد المنع إلى ما هو أحق بالمنع، فالأصل هو السماح في حدود حركية الإبداع وطلاقة الوعي، الخل يا فاروق ليس في أن تمتد مظلة المنع إلى ما تراه فسادًا وشذوذًا، وهو غالبًا كذلك، لكن شاعرا مثلك لايد أن يثق أن المجتمع الصحيح قادر أن يضع بنفسه الحدود لما يمارس علانية، وما يسمح به سرا، ولايد أنك تعرف جيدا أن ما يمارس في الخفاء هو أضعاف ما تسمح به الحكومة. ثم إنك تضيف "إنه لا مانع (لدى الحكومة) من أن يقيم حفل ساهر لمطرب إنجليزى شاذ ولا تقام أمسية لأحد رجال الدين الأجلء" وليس إلى علمي أن الحكومة يا فاروق منعت أحد رجال الدين الأجلء أن يقيم أمسية، خصوصا إذا كانت هذه الأمسية توصية بطاعة أولى الأمر وتحذيرا من أى اجتهاد يجدد الدين.

المقتطف (7): لم يكن تاريخ التصوف في كل مراحلها في الاسلام دعوة للعنف لقد كان دائما دعوته للتسامح والمحبة .

التعقيب: إن تاريخ التصوف ملئ بالثورات المبدعين الشجعان، الذين واجهوا السلطات الدينية والسلطات السياسية بل والاستعماريه بكل بسالة حتى الموت، جويده وهو الشاعر القوى الجميل يعلم أن العلاج لم يُعَدَم لأنه "باح" بتفاصيل رحلته ومعاشه مناجاته لربه بداخله وخارجه، وإنما أعدم لأنه أثار العامة ليأخذوا حقوقهم من السلطان،

المقتطف (8): "وقرارات بتدريس التربية الجنسية"

التعقيب: أنا معك يا فاروق في التحذير من تدريس

التربية الجنسية، ليس لأن في ذلك إباحية أو تعريه وإنما لأن الذين سوف يدرسونها لا يعرفون الجنس البشرى أو التواصل أصلاً، حتى لو أنجب الواحد منهم عشرة أطفال، الجنس يا فاروق شعر آخر، صلاة أخرى، فمن أين لمن يُدرس التربية الجنسية بذلك إلا من معرفة صوفية أرقى.

وبعد

أكتفى بهذا القدر لأختم المقال بعيداً عن جويده وغضبي وحي وكل ذلك، بأن أعدد بعض تشكيلات التصوف.

آملاً أن أجد في عرض بعض ملامح أخرى لتشكيلات التصوف مثل الشعى الراقص والتصوف المعرفة والتصوف الجهاد الأكبر والتصوف الكدح إليه والتصوف الثورة والتصوف الشعر

وأنا أرى أن كل هذه الأنواع هي في بؤرة السياسة.

وإلى المقال القادم.